(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء:١٨-٢٢]

الشيخ: إلى هنا، سبحان الله سبحان الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

يخبر تعالى أن مِن الناس مَن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؛ ولهذا ليس له همة إلا هذه الدنيا، لا يريد ثواب الآخرة، يريد العاجلة، فالدنيا هي العاجلة، والآخرة آجلة مؤجَّلة، وهذه عاجلة {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ} كما قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} [هود:١٥]، {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}، ففي هذه الآية دلالة على أن هؤلاء من الناس الله -تعالى- يعجل لهم ما يريده وليس لجميعه؛ ولهذا قال: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ}، فليس كل ما يطلبه يحصل له، كثير من الأشقياء يريدون من الدنيا ما يريدون ولا يتم لهم ذلك، {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ}، وأيضًا {لِمَنْ نُرِيدُ} ليس لكل أحد، يعني فمنهم من لا يُعجَّل له شيء، ومنهم من يُعجَّل له ما شاء الله، {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} إذن ليس كل من أراد الحياة الدنيا يتم له مراده، بل مردُّ ذلك إلى مشيئة الله وحكمته، وكأن هذه الآية تكون مُقيِّدة؛ لقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود:١٥] فهنا قيَّد هذا الأمر بالمشيئة {مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}، ثم يصير إلى أسوء المصير {ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} وهذا هو الخزي، هذا هو الخزي الذي ذكره الله {أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} [التوبة:٦٣]، وقال عن المؤمنين المتفكرين: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} نعوذ بالله، أيُّ خزي! هذا أعظم خزي دخول النار والشقاء السرمدي، {ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} مُبْعَدًا أيّ بُعْدٍ، مُبْعَدٌ عن رحمة الله مُبْعَدٌ عن كل خير، الصنف الثاني من يريد الآخرة يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلذلك همته متعلقة بالآخرة، يريد الآخرة ويريد ثواب الآخرة، كما قال في الآية الأخرى: {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} [البقرة:٢٠١،٢٠٠]، {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ} يعني أراد بعمله الآخرة وطلب الآخرة، قال: {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} أرادها وسلك الطريق إليها، فالآخرة لا

تُطلَب بكل طريقة، لا تُطلب بكل عمل، بل لها سعي خاصٌّ، لها سعي خاص وهو ما شرعه الله على أَلْسُنِ رسله، قال: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يعني مؤمن بالله موحد ليس بمشرك ولا كافر، ومن هذه الآية أُخذِت شروط العمل الصالح، وهي ثلاثة: إرادة وجه الله، وإرادة ما يريده الله {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ}، والثاني: أن يكون العمل على وفق أمر الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وهو معنى قوله: {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} فالذين يسعون إلى الآخرة، كثيرون يسعون لكن كثير منهم ليس على هدى، من النصارى يعبدون الله لكن على غير هدى، بل على جهل وضلال؛ ولهذا وُصِفوا بالضلال {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، والشرط الثالث: هو التوحيد، قال: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} الله يشكر لهم سعيهم بأن يجزيهم الجزاء الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم ويدخلهم الجنة {وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [النساء:١٣]، {فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} والله تعالى شكور، من أسمائه الشكور والشاكر {فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة:١٥٨] وهو الغفور الشكور.

قال الله: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ} السعداء والأشقياء، كل منهم يمده الله بما يشاء {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} فما يحصل للكفار من مَتَاعٍ ورزقٍ وحظوظٍ هو بقَدَرِ الله وبمشيئة الله، وكذلك ما يحصل للمؤمنين من خير عاجل وآجل هو من عطاء الله، فمرد الأمر كله لله، هو الذي يُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء، {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} ما أراد الله فلا راد له، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} يعني: ممنوعًا {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر:٢]، {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} هذا توجيه من الله لرسوله ولكل من يصلح للخطاب {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ} فالله تعالى قد فضَّل العباد بعضهم على بعض في هذه الدنيا {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} فالناس في هذه الدنيا بَرُّهم وفاجرهم هم درجات.

قال: {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} التفاضل في الآخرة تفاضل عظيم، أين من يكون -سبحان الله- في عِلّيين ومن يكون في سِجّين! كما ذكر الله هذه الموازنة في سورة المطففين: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ..} الآيات [المطففين:٧،٨]. ثم قال: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ} [المطففين:١٨،١٩] أين! {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر:٢٠]، بعد هذه الموازنة بين الفريقين في الأعمال والمصير نهى تعالى عن أكبر الذنوب وهو الشرك، الذي هو أعظم سبب لشقاء الأشقياء ودخولهم واستحقاقهم لعذاب الله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

آخَرَ} بل اعبده وحده لا شريك له واتخذه إلهك وحده لا شريك له، {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} فبالشرك يستحق الإنسان الذم والخِذلان {فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}؛ لأن الشرك أقبح القبائح، فالمشرك أحق بكل ذم، وهو مخذول لا يُوفَّق -نعوذ بالله من الشرك بالله-، {فَتَقْعُدَ} يقول أهل اللغة: إن الفاء سببية، يعني تكون مستحقًا للذم والخذلان بسبب أن تجعل مع الله إلهًا آخر، {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} فالشرك بالله سبب الذم والخذلان. نعم يا مُحَمَّد.

(تفسير السعدي)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسير قول الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا..} الآيات.

يخبر تعالى أن {مَنْ كَانَ يُرِيدُ} الدنيا {العاجلة} المنقضية الزائلة

الشيخ: العاجلة المنقضية هذه موازنة بين الدنيا والآخرة، هذه اسمها لأنها كاسمها دنيا هي قريبة، عاجلة وتنقضي على عجل سريعة الانقضاء، يوم القيامة الكفار يتحاورون كم لبثوا في الدنيا، منهم من يقول يوم أو بعض يوم، ومنهم من يقول إنما هي ساعة {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} [طه:١٠٤]. نعم

القارئ: فعمل لها وسعى، ونسي المبتدأ أو المنتهى أن الله يُعجل له من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له.

ثم يجعل له في الآخرة {جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا} أي: يُباشر عذابها {مَذْمُومًا مَدْحُورًا} أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله

الشيخ: يا الله يا الله

القارئ: فيجمع له بين العذاب والفضيحة.

{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ} فرضيها وآثرها على الدنيا {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} الذي دعت إليه الكتب السماوية والآثار النبوية فعمل بذلك على قدر إمكانه {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

{فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} أي: مقبولًا مُنمَّى مُدَّخرًا لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم.

ومع هذا فلا يفوتهم نصيبهم من الدنيا فكلا يمده الله منها لأنه عطاؤه وإحسانه.

{وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} أي: ممنوعًا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضله وإحسانه.

{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} في الدنيا بسَعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسَّفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

{وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا}

الشيخ: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الزخرف:٣٢]

سبحان الله، تبايُن فكم وضيع في الدنيا رفيع في الآخرة، وكم رفيع في الدنيا وضيع في الآخرة؛ لأن معايير التفاضل في الدنيا غير معايير التفاضل في الآخرة. نعم

القارئ: {وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه.

الشيخ: يا سلام سلِّم

القارئ: فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح

الشيخ: يا الله

القارئ: ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدًا عدُّه.

{لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}.

أي: لا تعتقد أن أحدًا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تُشرك بالله أحدًا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته ورسله قد نهوا عن الشرك وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفًا وأقبحهم نعتًا.

وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وُكِلَ إلى من تعلَّق به ولا أحد من الخلق ينفع أحدًا إلا بإذن الله، كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحَّده وأخلص دينه لله وتعلق به دون غيره فإنه محمود مُعانٌ في جميع أحواله.

قال الله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا..}

الشيخ: إلى هنا بارك الله فيك. نعم.